نبـــــذة عن

حالة الفنون الجميلة فى مصر
ووسائل علاج بعض نواحيها

مقدمة إلى

حضرة صاحب المعالى وزير المعارف

من

أحمد فكرى

الحائز لدكتوراه الدولة فى الآداب

نبـــــذة عن

حالة الفنون الجميلة فى مصر
ووسائل علاج بعض نواحيها

مقدمة إلى

حضرة صاحب المعالى وزير المعارف

من

أحمد فكرى

الحائز لدكتوراه الدولة فى الآداب

تمهيد

لم تبد وزارة المعارف العمومية اهتماماً جدياً بنهضة الفنون الجميلة فى مصر الا منذ ثمانية أعوام حين أنشأت ادارة الفنون الجميلة ، ولم يجد هذا الاهتمام كثيراً ، فقد انحط المسرح الى أكثر مما كان عليه قبل هذا التاريخ ، وظل الجمهور بعيداً عن التأثر بمظاهر الفن والجمال . وقد يرجع هذا الى أسباب تخرج عن سلطة ادارة الفنون وتتصل بحياة الجمهور المصرى من الوجهة الاجتماعيـة أو الفكرية أو المادية ، ولـكن هناك أسباباً أخرى تدخل فى دائرة هـذه السلطة أتقدم ببيان عن بعضها وبشرح ما أراه جديراً بالاعتبار من وسائل علاجها :

كتب المسيو (هوتكور) أول مدير للفنون الجميلة فى مصر مقالا عن هذه الادارة فى العدد الذى صدر فى يونيو سنة ١٩٣٠ من مجلة الفنون الجميلة (Beaux - Arts) أبان فيه أوجه الضعف التى تعجزها عن أداء مهمتها فقال « ان الأزمات الوزارية والقوانين الادارية والمالية الجامدة الضيقة وانعدام الموظفين الفنيين وبالعكس وجود موظفين آخرين من جنسيات عديدة يتكلمون لغات أجنبية مختلفة وضرورة مراعاة كل الشعائر والمشاعر والتهرب من المسئولية والميل الى البطء تحت حرارة الشمس المحرقة والصعوبات المالية الحالية ، كل هـذه أسباب لم تسهل معها المهمة وعاقت تنفيذ المشروعات »

ولست أنحو منحى مدير الفنون الجميلة السابق ولا أعنى فى الآراء التى أقدمها الا بالناحية الفنية البحتة

ضيق سلطة ادارة الفنون الجميلة

أبدأ بذكر ما يؤسف له من أن سلطة ادارة الفنون الجميلة محصورة فى دائرة ضيقة لا تمتد الى كل ما يشمل الفنون الجميلة فى مصر . وبديهى أنه لا يمكن لهذه الادارة أن تحقق الغرض الذى أنشئت من أجله وهو تربية الذوق الفنى فى مصر إلا اذا عنيت بكل النواحى التى تتصل بهـذه التربية أو تساعد على تحقيقها . ويكفى للدلالة على ذلك ما نشاهده من أن مصلحة المبانى مثلا لا تستأنس برأى ادارة الفنون فيما تقيمه من المبانى أو تقوم به من الاصلاحات . كما أن مصلحة التنظيم أيضاً لا تفكر فى استشارة ادارة الفنون فيما تقدم عليه من المشاريع الهامة التى تتصل بتحسين العاصمة وتجميلها ، ومن

الجائز أن يكون فى الرأى الذى تسديه هذه الادارة عن مشروع توسيع ميدان العتبة الخضراء مثلا مايزيده رونقاً أو يوفق بينه وبين مظاهر المبانى التى تحيط به . وقد لايسمح أيضاً لادارة الفنون أن تبدى رأياً فنياً الى قلم المرور فيما يختص مثلا بموقف عربات الامنيبوس فى ميدان جميل كميدان الأوبرا ، وقد يكون فى الرأى الذى تبديه حينئذ ما من شأنه أن تحتفظ هذه الساحة بجمال مظهرها

ولم أضرب هذه الأمثلة الا عن ناحية واحدة من النواحى التى يمكن أن تعنى ادارة الفنون بها ، أو أن يكون لها فيها رأى استشارى . وهناك نواح عديدة أخرى كاقامة الحفلات الرسمية وكتنظيم المعارض الحكومية وكالاشراف على اصدار نشرات الدعاية والمطبوعات والاعلانات التى تذيعها الحكومة والتى يكون لها صبغة فنية ، وكذلك اختيار الأثاث الثمين الذى تشتريه الحكومة أو توصى بصنعه لها ، وغير ذلك مما يكون للذوق الفنى صلة به . واذا كان كثير مما ذكرت لايدخل فى اختصاصات ادارات الفنون الجميلة فى أوروبا إلا أنه يجب أن لاننسى أن التربية الفنية فى بلادنا مازالت فى دور طفولتها ولهذا يجب تعهدها من كل نواحيها

ولست أعنى بهذا نقصا فى الادارات أو المصالح الأخرى التى لاتتصل الآن بادارة الفنون ولكن الغرض منه هو توحيد الفكرة والسياسة التى تتبع فى تعهد الذوق الفنى وتربيته . ومع هذا فان أكثر ما أشير به متبع فى فرنسا ولادارة الفنون فى البعض منه سلطة تنفيذية وفى البعض الآخر رأى محترم . وأقرب مثل أستطيع أن أضرب به لذلك هو ما أعرفه من أن ادارة الفنون الجميلة فيها تكلف بتنظيم الحفلات الرسمية حتى حفلات الجنائز . واذا كان الفرنسيون يعنون بمظاهر الفن فى كل شىء حتى فى مواقف الموت فما أحوجنا أن نعنى بها نحن فى أهم مظاهر حياتنا العامة

ضعف سلطتها على بعض المصالح التى تتبعها (المتاحف والآثار)

ومع قلة النواحى التى تعنى بها اليوم ادارة الفنون الجميلة فان بعض المصالح التى تتبعها تخرج عن سلطتها ولا تتصل بها إلا بصلة اسمية . فللمتحف المصرى كما لدار الآثار العربية مثلا ادارة ليس لمراقب الفنون الجميلة سلطة حقيقية عليها . وقد لايكون له فيهما رأى مأخوذ به — أو هذا على الأقل هو ماتنطق به الظواهر — مع أن مراقبة الفنون الجميلة هى حلقة الصلة بين هذين المتحفين وبين المتاحف الأخرى ، وهى التى يجب أن تسيطر عليهما ، وقد يكون لها رأى مقبول فى تنسيق معروضاتهما أو تنظيم ادارتيهما . وقد يمكن للمراقبة — إذا كانت تشرف على المتاحف اشرافاً فعلياً — أن تحملها مثلا من وقت لآخر على اقامة معارض جزئية تعرض فيها تحف عصر من العصور أوفن من الفنون ، فنى هذا مايكسب الجمهور ثقافة فنية وتاريخية ، وما يظهر له على حدة تحفاً نفيسة كانت تختفى عن

أنظاره بين آلاف أخرى معروضة أمامه . وفى تنظيم هــذه المعارض أيضاً مايرغب الجمهور فى زيارة المتاحف وقل بين المصريين من يتجه اليها،وكثير من هؤلاء يكتفى فى حياته بزيارة واحدة لها

وهناك وسائل أخرى لحمل الجمهور على التردد على المتاحف المصرية يمكن لمراقبة الفنون الجميلة أن تفــكر فيها وتتولى تنفيذها . والأمر كذلك فى الآثار القديمة مصرية واسلامية ؛ ويغلب على ظنى أن مراقب الفنون الجميلة ليس عضواً بلجنة حفظ الآثار العربية ، واذا صح هذا الظن كان دليلا آخر على ما يؤسف له من أن الصلة بين ادارة الفنون الجميــلة وبين ما يجب أن يكون من اختصاصها الأول ــ وهو المتاحف والآثار التاريخية ــ صلة اسمية بل انها أحيانا معدومة

ولست فى حاجة الى الإفاضة فى القول عما لهذه الحال من أثر سيء فى النهضة الفنية فى مصر . وأذكر مثلا على ذلك ما قرأت فى الصحف من أن مصلحة الآثار المصرية لم توافق على اقتراح لمصلحة السكة الحديدية بشأن تسهيل زيارة الآثار لركاب بعض القطارات . ولا شــك أن مصلحة الآثار كانت تعنى فى هذا الرفض برعاية آثارها قبل كل شيء آخر ، ولــكنها لم تضع فى المرتبة الأولى لعنايتها تثقيف الشعب المصرى وإطلاعه على آثار بلاده الفنية .

وإذا كانت إدارة الفنون الجميلة تشرف إشرافاً فعلياً على المتاحف والآثار فإنه يمكن لها أن تستعين بوسائل عديدة على تحقيق تربية الذوق الفنى فى مصر وعلى التوفيق بين المظاهر الفنية فى مختلف النواحى . وأضرب لذلك مثلا سأعود إليه عنــدما أتحدث عن المدرسة العليا للفنون الجميــلة وهو التصريح للمشتغلين بالفن والأدب فى مصر بزيارة المتاحف والآثار مجاناً . فإن مهمة المتحف الأولى هى تثقيف الشعب ، ورجال الفن والأدب أفضل صلة بينها وبينه ، وأكبر وسيلة للدعاية لهـا عنده . ولست أعتقد أن كثيراً من رجال الأدب يذكرون المتاحف المصرية فى كتبهم أوقصصهم أو مقالاتهم أو خطبهم بما يحبب الجمهور إلى زيارتها . كما لا أعتقد أن رجــلا من رجال الفن فى مصر وضع صورة جذابة لداخل متحف أو لتحفة نفيسة من تحفــه . بل ولست أعتقد أن كثيراً من مدرسى التاريخ فى المدارس الثانوية يتحدثون إلى تلامذتهم عن المتاحف المصرية بأكثر مما قرأوه فى الــكتب التى أمامهم . ذلك أن هذه المتاحف لا تفتح أبوابها بسخاء لــكل مَن مِن شأنه أن يساعد الشعب المصرى وجمهور المتعلمين منه على تفهم الفن الجميل وتذوق آثار أجدادنا من قدماء المصريين والعرب ومسألة التصريح مجانا لزيارة المتاحف من المسائل التى يمكن لمراقبة الفنون الجميلة أن تبت فيها وحدها فيسرى قرارها على جميع المتاحف والآثار ، ويكون التصريح الذى تصرفه مشتركا بينها أو خاصاً بأحدها .

وأضرب مثلا آخر فى سبيل ثقافة الجمهور المصرى وهو تنظيم محاضرات تاريخية وفنية فى

آثار مصر وآثار العرب تلق داخل المتاحف المصرية أمام تحفها ، وأخرى تلق داخل الآثار من مساجد ومنازل ومعابد . وهذه المحاضرات لا تجدى ولا تثمر الثمر الناضج إلا إذا كانت منظمة تنظيما يتفق مع حاجة الجمهور المصرى المتعلم . ومن الجائز أن يكون البعض منها خاصاً بموضوعات معينة كالأثاث عند قدماء المصريين أو الخزف فى العصور الاسلامية أو النحت فى الفن القبطى وهذه يجوز لكل إدارة من إدارات المتاحف أن تنظمها بنفسها . ولكن هنالك مواضيع عامة يمكن تنظيم محاضرات مسلسلة فيها تستدعى أن يلق البعض منها فى المتحف المصرى والبعض الآخر فى المتحف القبطى وفى دار الآثار العربية أو فى متحف الفن الحديث أو فى دار الكتب المصرية . وإدارة الفنون الجميلة هى وحدها الكفيلة بتنظيم مثل هذه المحاضرات ، ولا يمكن أن تحقق مثل هذا المشروع إلا إذا كانت مشرفة إشرافاً فعلياً على إدارات المتاحف المختلفة .

مثال ثالث عن الأوجه التى يصح لإدارة الفنون أن تعنى بها فى إشرافها على المتاحف هو إقامة معرض وقتى للفنون المصرية فى عصورها المختلفة . وهذه فكرة حاولت تنفيذها إدارة الأكاديمى الملكية بلوندرة ، ومن الغريب أن لا تقوم فى مصر نفسها فكرة كهذه التى أراد تحقيقها رجال الفنون البريطانيون . والسبب فى هذا أن المتاحف المصرية ــ كما ذكرت ــ منعزلة الواحد عن الآخر فى إدارته وفى سلطته وفى تفكيره . وليس لإدارة المتحف المصرى مثلا أن تفكر فى إقامة معرض يضم تحفا إسلامية وليس لإدارة دار الآثار العربية أن تعنى بشؤون تتصل بالتحف المصرية القديمة . وإدارة الفنون الجميلة هى وحدها الكفيلة بالتوفيق بين هاتين الإدارتين .

وهنالك على ما أعتقد مذكرة للمسيو (هوتكور) عند ما كان مديراً عاماً للفنون الجميلة بمصر عن الغرض الذى كان يرمى إليه من ضم جميع المتاحف تحت سلطة واحدة وهى سلطة إدارة الفنون الجميلة لم تكن الأسباب التى حدت به إلى وضع هذا الاقتراح ولم تكن الأسباب التى أدت إلى الأخذ به إدارية بحتة بل كان هناك غرض أسمى من هذه وهو تآزر المتاحف وإدارات المتاحف تآزراً فنياً وثيقاً للعمل على تثقيف الجمهور المصرى

دائرة اختصاص ادارة الفنون الجميلة

إذا كانت هنالك نواح فنية تخرج عن اختصاص مراقبة الفنون الجميلة وإشرافها كتلك التى ذكرتها فى تمهيد هذه النبذة وهنالك نواح أخرى لا تتصل بها إلا بصلة إسمية كإدارات المتاحف والآثار التاريخية فالواقع أن مراقبة الفنون الجميلة لا تهتم إهتماماً جدياً الا بثلاث إدارات : الأوبرا والمسرح والموسيقى من جهة ، ومتحف الفن الحديث من جهة أخرى ، وأخيراً المدرسة العليا للفنون الجميلة . ومما يدعو

إلى الأسف الشديد انه مع ضيق هذه الدائرة التى تعنى بهـا إدارة الفنون الجميلة فإن فى مظاهر هذه الإدارات ما يدل على نقص كبير .

المسرح والموسيقى

أما عن المسرح والموسيقى فقد عنى وزير المعارف الحالى بهذه الناحية من نواحى حياتنا الفنية والاجتماعية وأحال على لجنة خاصـة أمر النظر فى اصلاحها وقد أشارت اللجنة فى تقريرها الأول إلى عوامل الضعف ووسائل العلاج ولاشك أن الأخذ بمقترحاتها سيؤدى إلى الإصلاح المنشود . فلا حاجة بى الى اعادة البحث فى هذا الموضوع وأكتفى بدرس الناحيتين الأخريين من دائرة اختصاص مراقبة الفنون الجميلة

متحف الفن الحديث

الغرض من انشائه

قد يكون متحف الفن الحديث أجمل فكرة أخرجتها إدارة الفنون الجميلة ، وهو بحق وليدها الوحيد ، فهى لم تعن فيما عدا ذلك إلا بالاصلاح والتنظيم . ولم يكن فى مصر متحف للفن الحديث قبل انشاء هذه الادارة ، وكانت حياتنا الفنية تقف عند منتجات الفن الاسلامى .

والغرض الذى من أجله أنشىء هذا المتحف كان ولا يزال إطلاع الجمهور المصرى ورجال الفن منه على مظاهر الفن الأوروبى فى عصوره الحديثة وعلى تحف رجال الفن المعاصرين من مصريين وأجانب . وفى ذلك وسيلة من أكبر الوسائل لتهذيب ذوقنا الفنى ، وعون قوى على إتمـام ثقافتنا الحديثة . ولست فى حاجة إلى الاطالة فى شرح هذا الغرض فأهميته فى حياتنا الاجتماعية واضحة . ولست فى حاجة إلى بيان ما للتربية الفنية من أثر عميق فى تقويم أخلاق الشعوب وإذكاء نهضتها .

وقد أجمع علماء التربية وعلماء الفنون على أن الغاية الأولى من المتاحف هى الثقافة والتهذيب إذ ليست المتاحف قاصرة على أن تكون دوراً للحفظ وخزانات للتحف الثمينـة ، وليست مهمتها قاصرة على أن تعرض أمام الجمهور أغلى الآثار وأعظمها رونقاً وجمـالاً ، ولـكن غايتها الأولى أن تطلعه على صفحة نقية من صفحات تاريخ المدنيات . فلا ينبغى أن يكون المتحف المصرى مثلا مخزنا جمعت فيه أكبر كمية من آثار قدماء المصريين . ولـكنه دار تنطق محتوياتها بما كان لمصر فى عصورها

القديمة من تاريخ مجيد ، ومعهد تلقى فيه دروس فى ما كان لمدنيتها من رخاء ولفنونها من زهاء ، وفيه يجب أن يهيأ الزائر إلى إدراك ما كان لقدماء المصريين من مثل أعلى فى الجمال وإلى أى ناحية اتجهت تربيتهم الفنية . وإذن فلابد أن تكون معروضات هذ المتحف منسقة بحيث تشعر الجمهور بكل هذا فلايرى الزائر العادى نفسه أمام معروضات مكدسة يصعب عليه أن يفرق بين الواحدة والأخرى أو أن يقدر لكل منها من القيمة التاريخية أو الاجتماعية .

وكذلك الحال فى متحف الفن الحديث . يجب أن يكون هذا المتحف معهداً تمد فيه عقلية الجمهور لاستقبال النهضة الفنية واقبولها ثم لتعضيدها ، ويجب أن يكون معهداً تلقى فيه دروس فى ناحية هامة من نواحى المدنية الأوروبية الحديثة ، وأن يتحقق به ما قاله الفيكونت دابرنون Viconte d'Abernon رئيس اللجنة الملكية المتاحف البريطانية من « ن أول واجب على القائمين بالأمر فى المتاحف هو حماية عقل الجمهور العادى السليم والوديع . »

أوجه النقص فيه

ولكن من المؤلم أن يكون الجمهور المصرى بعيداً عن هذا المتحف وأن لا يطرق بابه أكثر من مصرى واحد كل يوم . بل قد لا أغالى إذا ذكرت أن من بين الموظفين الفنيين فى وزارة المعارف نفسها من يجهل الدار التى تضم تحفه .

ورب قائل إن السبب فى ذلك هو رغبة المصريين أنفسهم عن الفن الجميل وانفضاضهم عنه . وهذا أمر معروف، وما أنشىء هذا المتحف إلا لإدخال روح الفن فيهم، ولكنه عاش ثمان سنوات وما زال المصريون يجهلونه أو يتغاضون عنه ، فهو لا يؤدى إذن النهاية التى أنشىء لها وأعتقد أنه من الممكن اصلاح هذا الحال .

أما أوجه هذا النقص فهى كثيرة منها ضيق الدار التى خصصت له ، وعدم لياقتها لأن تتسع لتحف من المتاحف ، وعدم وجود موظفين فنيين به ومرشدين للجمهور العادى يدلونه على مالمحتوياته من الأهمية ومن القيمة الفنية، وغير ذلك مما لا يحتاج إلى شرح كبير. وهنالك عوامل جوهرية أخرى إليها ـ كما أعتقد ـ يرجع السبب فى انفضاض الجمهور عن هذا المتحف ومنها اهمال الدعاية له.

اهمال الدعاية له

فإذا كانت فى ميزانية هذا المتحف أبواب لمشترياته الفنية أو لتغذية مكتبته أولمرتبات موظفيه

فليس فيها باب خاص للصرف على الدعاية له . وأعود فأكرر إن تربيتناالفنية مازالت فى دور طفولتها وإنه يجب على إدارة الفنون الجميلة أن تتعهدها بعناية أكثر من تلك التى تتبعها إدارات الفنون فى الدول الأوربية . ولكن الأمر عندنا على العكس من ذلك ، فبينما نلاحظ أن الشهرة العالميـة التى لمتحف اللوفر لاتغنى ادارة الفنون فى فرنسا عن أن تعلن عنه وهى تكثر من الدعاية له ولا تقصرها على سكان باريز أو سكان فرنسا بل وتمـدها الى سكان الأمم الأخرى ، واذا كان ثمة متحف فى العالم فى غنى عن الدعوة والاعلان فهو متحف اللوفر ، بينما نلاحظ هذا اذا بنا نرى أن ادارة الفنون الجميلة فى مصر لم تفكر فى بث الدعوة لمتحفها الحديث وهو فى أشد الحاجة اليها

وطرق الدعاية الى هـذا المتحف عديدة أسهلها النشر فى الصحف وفى المدارس واقامة معارض وقتية فيه أو القاء محاضرات وغير ذلك مما أرجو أن تتاح لى فرصة أخرى لبيانه

ولكن الأمر ليس قاصراً على طرق الدعاية بل هنالك ما هو أهم من ذلك وما أعتقد فيه السبب الأول لانصراف الجمهور المصرى عن هذا المتحف وهو محتوياته والطريقة التى اتبعت الى اليوم فى تغذيته

محتويات المتحف ومشترياته

صرفت وزارة المعارف على هذا المتحف عشرات الألوف من الجنيهات وزاد اهتمام معالى وزير المعارف به هذا العام فزيدت مقرراته فى ميزانية الدولة ، وليس فى هذه الزيادة سخاء كبير فالمبالغ التى صرفت فى سبيل هـذا المتحف والذى يقترح صرفها عليه ما زالت ضئيلة أمام الغرض السامى الذى أنشئ من أجله .

واستنفدت هـذه المبالغ كلها فى شراء منتخبات من منتجات الفن الحديث فى مصر وفى أوروبا ، أصبح المتحف بها اليوم شبيها بصالة للعرض فيها تحف فنية مختلفة ، يتوقف تقدير قيمتها على درجة تذوق المشاهد لها

والواقع انه لم تتبع سياسة واحدة انشائية لهذا المتحف ولتغذيته ولم يوضع برنامج محدود للغاية التى يرمى اليها وكأن لوحاته قد انتقيت لمجرد أنها كانت معروضة للبيع أو لأن ثمنها كان معقولا أو لأن فيها أثراً من آثار الفن الحديث

عدم تمثيلها لنواحي الفن الحديث

ويجدر بي أن أقرر أولا ان معروضات هـذا المتحف لاتمثل الفن الحديث ولا تعبر عن اتجاه واحد من اتجاهاته وهي بعيدة عن أن تكون فكرة فنية عن عصر من العصور الحديثة أو عن فن أمة من الأمم الأوروبية

ولنأخذ مثلا فن التصوير فى انجلترا فهو مثل سهل لأن هـذا الفن حديث فيها لايتعدى تاريخه مائتى عام

لم يكن فى المتحف إلا لوحة واحدة عن هذا الفن أضيفت اليها فى سنة ١٩٣١ ثمانى لوحات . ولا شك أن هـذا العدد ضئيل إلا أنه متعادل بالنسبة إلى متحف ناشىء كمتحفنا واذا كان هنالك برنامج موضوع قبل اقتناء هذه اللوحات لكان من المكن أن يختار من المعروض للبيع فى أسواق أوروبا وأمريكا ما يعطى فكرة مقبولة عن الفن الانجليزى ، وكان يمكن أن تخصص لها غرفة يكون فى نظامها وزخرفتها ما يشعر الزائر لها بما للفن الانجليزى من اتجاهات ومعان وأطوار . وليس الحال كذلك فاللوحة الأولى صورة مائية لريشار بوننجتون . ولست أريد أن أقف منها موقف الناقد الفنى ، ولكنى مضطر أن أقرر أنها لاتعبر بحال من الأحوال عن روح الفن الانجليزى، بل هى لاتعطى فكرة صحيحة عن فن راسمها الذى كان بارعاً فى تصوير المناظر العائلية والطبيعية والبحرية ، وكان مع هذا مصوراً بالماء ومصوراً للحفر ، وكان اشتهر بالتعبير عن مناظر الربيع وغروب الشمس فى البحار ، وصورته المائية المعروضة فى المتحف بعيدة عن أن تشعرنا بشيء من فن هـذا الرجل . فما بالنا اذا علمنا انه هو لايعبر إلا عن ناحية ضئيلة من نواحى الفن الانجليزى

وما أقوله هنا عن لوحات الفن الانجليزى المعروضة فى متحف الفن الحديث يمكن أن يقال عن لوحات الفن الايطالى أو الفلامندى أو الهولندى وحتى عن لوحات الفن الفرنسى ، بالرغم مما للفن الفرنسى فى هذا المتحف من مكان ممتاز ـ اذ أن كمية المعروض منه تقرب من مجموع معروضات الفنون الأخرى . ولهذا فسآخذ مثلا آخر منه

قد تكون اللوحة الزيتية المعروضة للرسام لارجيلير والتى تمثل البارونه دى برانجانس من أكبر لوحات المتحف قيمة . ولنفرض جدلا انها تعبر عن كل مواهب هذا الفنان الكبير من دقة رسمه ورشاقة أجسامه وتوازن ألوانه ، ولا شك أن لارجيلير من كبار مصورى القرن الثامن عشر ، ولكنه من كبار طبقة واحدة من طبقاتهم وهم مصوروا الأشخاص ، ولا يعبر إلا عن ناحية واحدة من نواحى الفن الفرنسى فى هذا العصر . وقد لايستطيع الناظر الى هذه اللوحة بل والى لوحات

هذا الفنان كلها أن يكون فكرة صائبة عن فن هذا العصر ومميزاته من تصوير الحياة المشوشة الطروبة الخلابة ، ولا أن يذكر كبار فنانى هذا العصر كفاتو أو شاردان أو بوشيه أو كروز أو فراجونار

وكم كان لفن التصوير الفرنسى من أطوار واتجاهات فى حياته كلها ، بل وفى كل عصر من عصوره ، وكم سجل تاريخه من أسماء مشهورة فى عالم الفنون ، وكم كان له من أثر عالى ومن حياة حافلة ، وكم كان اتصاله وثيقاً بالأدب وبالسياسة والتاريخ ، وعبثاً نحاول فى متحف الفن الحديث أن نخرج بدرس واحد فى هذا . واذن فالمقتنيات الفرنسية فى هذا المتحف لاتعبر التعبير المطلوب عن الفن الفرنسى بالرغم مما خصها فيه من عناية ومن مكان ممتاز

ولفنى النحت والحفر وللفنون الزخرفية مالفن التصوير من حياة حافلة وتاريخ مجيد ، ومتحف الفن الحديث أشد فقراً فيها ومنتقياته منها أقل تمثيلا لها من لوحاته لفن التصوير

والسبب فى هـذا كما ذكرت انه لم تتبع فى مشتريات هذا المتحف سياسة انشائية ترمى الى إيجاد حلقة متصلة منها لتمثيل الفنون الأوروبية الى أبعـد حد ممكن . ولافتقار هذا المتحف أثر سىء فى تأدية المهمة التى أنشىء لها وفى اضطراب الفكرة التى يكونها الزائر له عن الفن الحديث بعد مشاهدته لمثل التحف التى ذكرت أمثلة منها

عدم تذوق الجمهور لمعروضات المتحف

وأكرر اننى لا آخذ بالنقد هذه التحف من حيث هى منتجات فنية بل باعتبارها المعروضات الوحيدة لمتحف انشىء لتمثيل الفن الحديث ولتربية الذوق الفنى فى مصر . وهنا أذكر فى كثير من الخجل أن قليلا جداً من هذه المعروضات يتفق مع مشارب الجمهور المصرى ، وأن بينها كثيراً من لوحات التصوير والمنحوتات ماقد يصد عن رؤيتها ولا يعجب بما فيها من معنى أو جمال ، بل ان كثيراً من المثقفين لايقدرون القيمة الفنية للوحة (أوجين ازابيه) التى تمثل عرش هنرى الرابع ، ذلك انها صعبة الفهم ، فلا يدرك هذه القيمة إلا المطلع على أدوار الفنون وتطوراتها والعارف بأسرار صناعتها . بينما هنالك من التحف ما يسهل فهمها وما يمكن أن يشغف برؤيتها الجمهور المصرى ولست أشك أنه يطرب لرؤية لوحة سلم القصر التى عرضت حديثاً للبيع وهى لنفس الفنان الذى ذكرته.

اهمال منتجات الفن المصرى الحديث

وسبب جوهرى آخر من الأسباب التى تبعد الجمهور المصرى عن هذا المتحف هو أن الناحية

المصرية فيه قد أهملت إهمالا كبيراً . لم يكن المتحف يحوى فى عام ١٩٣١ إلا ٢٤ قطعة فنية لفنانين مصريين من مجموع تحفه التى كانت تبلغ ٤٨٥ قطعة ، واذا كانت هذه قد زيدت ٣٢٠ قطعة فى هذه الأعوام الأربعة الأخيرة فلم يكن حظ الفنانين المصريين من هذه الزيادة أكثر من ٣٦ قطعة . وهذه النسبة تكفى للدلالة على أن القائمين بأمر هذا المتحف لم يهتموا الاهتمام الكافى بما يخرجه رجال الفن المصريين. وطبيعى أنه يعز على المصرى أن تصرف آلاف الجنيهات على شراء لوحات من الفن الفرنسى مثلا وأن لا يتعدى ماخص رجال الفن المصريين عشرات قليلة من الجنيهات من أموال خصصت لهم وللعمل على نهضتهم الفنية .

ورب قائل إنه لم يكن حينئذ بين معروضات الفنانين المصريين عدد أكبر يستحق الاحتفاظ به فى متحف الفن الحديث . وسأتناول الرد على هذا الاعتراض عندما أطرق أبواب علاج هذا المتحف ووسائل تشجيع الفنانين المصريين

معروضات متحف الفن الحديث لاتأتى اذن بالغرض الذى أنشئ من أجله فهى لا تكفى وحدها لتمثل الفن الحديث تمثيلا منطقياً متصل الحلقات ، معبراً عما كان له من حياة مملوءة بالأفكار السامية ، حافلة بالجمال الرائع ، وأكثرها من جهة ثانية لاتتفق مع مشارب المصريين ، ولا تساعد على تربيتهم الفنية ، وليس لها من أثر الا انصرافهم عن هذا المتحف

تنظيم متحف الفن الحديث

اكتفيت فيما سبق بذكر ثلاثة أسباب من بين الأسباب العديدة التى تعجز متحف الفن الحديث عن أداء الغاية التى أنشىء لها وهى تربية الذوق الفنى من جهة وتمثيل الفن الحديث تمثيلا صحيحا سواء ما اتصل منه بأوروبا وما أخرج منه فى مصر وفى البلاد الشرقية من جهة أخرى

أما الفكرة التى أتقدم بها لاصلاح هذا المتحف فهى أن يقسم الى أربعة أقسام وأن يكون لكل قسم سياسة انشائية دقيقة التخطيط حتى يتخذ هذا المتحف فى مستقبل قريب شخصية بارزة ويؤدى الأغراض التى أنشىء لها . ولست أود هنا أن أطرق التفاصيل المادية لتنفيذ هذه الفكرة كايجاد الدار الخاصة به وتكوين موظفيه وترتيب مكتبته ووضع دليله فلست أعنى هنا إلا بمحتوياته . ومع هذا فانى أعتقد أن الأموال التى يحتاج اليها المتحف لاصلاحه لاتتعدى كثيرا مخصصاته الحالية فى ميزانية الدولة ، وأنه سيسهل البحث عن من يحتاج اليه من الموظفين الفنيين من المصريين كما أعتقد أن انشاء الدار الصالحة له سوف لايلقى عقبات كبيرة

القسم الأول : منتجات الفن المصرى الحديث

ستكون لوحات المصريين فى التصوير ومنحوتاتهم الموجودة اليوم بالمتحف نواة صالحة لهذا القسم الذى يجب أن يكون متسعاً لأضعاف مايحتويه الآن . اذ أن نهضة الفنون فى مصر هى أول غاية نرجوها، ووسيلتنا الأولى الى ذلك هى تشجيع رجال الفن فيها

الإكثار من مشتريات هذا القسم

ويجب أن يتناول هذا التشجيع أكبر عدد ممكن من الفنانين وأن لايختص به النابغون منهم فقد يكون فى مواهب البعض نقص يمكن تهذيبه اذا لم نقطع عنهم باب الأمل ، وقد يكون فى ظروف البعض الآخر المادية مايعوقه عن التفوق اليوم ، وفى مساعدته مايشجعه على العناية بفنه وبصناعته وما يمهد له سبيل الرقى الفنى

ولا يجوز أن تكون مقتنيات المتحف من معروضات الفنانين المصريين قاصرة على ماتفوق منها فى الصناعة أو الفكرة ، وليس كل ماهو معروض بمتحف اللوفر جديرا بالاعجاب ولا هو كله من اخراج كبار الفنانين

لهذا فيجب أن يكون للسياسة الانشائية لهذا القسم مبدآن أولهما تشجيع رجال الفن المصريين بشراء أكبر عدد ممكن من منتجات أفكارهم . وثانيهما انتقاء الفائق منها لعرضه أمام الجمهورالمصرى إذ أن الفكرة الحديثة فى تنظيم المتاحف هى أن تقسم الى قسمين : صالات العرض وصالات الحفظ والدراسة

التحف المعدة للعرض

وإذن فسينتقى من مشتريات هذا القسم ما يمكن أن يمثل الفن المصرى الحديث أفضل تمثيل بما فيه من أسلوب بديع أو فكرة عالية أو تعبير رقيق ، ثم تعد هذه المنتقيات للعرض فى غرف المتحف الخاصة بالفن المصرى .

ويجب أن تراعى الاتجاهات الفنية أو الحقائق التاريخية فى تنسيق هذه التحف فيكون هنالك توازن وصلة بين معروضات الغرفة الواحدة ، كما يجب أن تخصص احدى هذه الغرف للفائق من تحف

الفنانين المصريين ، على أن لا يدخلها من تلك إلا ما كان قد عرض أعواماً متتالية فى الغرف الأخرى ، وأجمع النقاد على مكانته السامية فى الفن المصرى

ما يعد من مشتريات هذا القسم للحفظ

أما المقتنيات الأخرى فسيحتفظ بهـا كوثائق فنية تاريخية ، إذ من الواجب أن نحتفظ لتاريخنا الفنى بكل حقائقه، البديع منها وغير البديع . إذ قد يكون الذين وكل إليهم أمر انتقاء التحف قد أخطأوا التقدير فيكون فيما أعدوه للعرض ما لا يستحق هذه الميزة ، كما قد يكون فيما أعدوه للحفظ ما هو جدير بالاعجاب . وقد يكون فيما أعد للحفظ أيضاً تحف لرجال من الفن فى المرحلة الأولى من حياتهم . وقد يُبرّز أحدهم فى فنه فتكون لتحفه هذه فى المستقبل قيمة كبيرة ليست لها اليوم . ويحدثنا التاريخ عن رجال كثير من أصحاب الفن ماتوا مجهولين وكان انتاجهم يباع بثمن بخس ، ثم أظهرت الأيام عظيم مقدرتهم ورفيع فنهم فارتفعت قيمتها وندر تداولهـا فى الأسواق . وما يدرينا أن يكون من بين فنانينا اليوم من يصل يوماً إلى مرتبة العبقريين، بل هذا ما نسعى إليه ونرجو تحقيقه وواجب علينا أن نمد المدة له .

ما يعار منها للعرض فى المصالح الحكومية

وحتى لا تكتظ صالات المتحف ومخازنه بمثل هذه القطع الفنية يمكن أن ينتقى منها ما يجوز الاستغناء وقتياً عنه فيعار الى مصالح الدولة المختلفة كأمانات تتزين بهـا غرف الوزراء وكبار الموظفين ومكاتب المدارس وصالات محاضرات الجامعة إلى غير ذلك مما من شأنه أن يشجع رجال الفن ويروج الدعاية إلى الفن المصرى الحديث .

والذى أعتقده أن سيكون لهذا القسم بفروعه الثلاثة مجتمعة أكبر أثر فى نهضتنا الفنية الحديثة وفى نهضة رجال الفن فى مصر . ولا أغالى إذا قلت إنه يجب أن يخصص لهذا البـاب من ميزانية المتحف الحديث ما لا يقل سنوياً عن ألفين من الجنيهات .

القسم الثانى : منتجات المستشرقين من رجال الفن (Les Orientalistes)

أما القسم الثانى فسيكون مختصا برجال الفن من المستشرقين .

قامت فى أوائل القرن التاسع عشر فى أوروبا وفى فرنسا خاصة حركة فنية متأثرة بالشرق : طبيعته ، وعاداته ، وفنونه القديمة ، ونشأت عنها جماعة من المصورين أطلق عليهم اسم المستشرقين. ثم فترت هذه الحركة مدة ما ولكنها استيقظت بنشاط أكبر فى هذه السنين الأخيرة .

وواجب أن يكون فى متحف الفن الحديث فى مصر قسم خاص يذكر الجمهور المصرى من جهة ، والفنان المصرى خاصة ، والزائر الأجنبي من جهة أخرى ، كيف كانت لشمس مصر ولطبيعتها وآثارها وتاريخها أثر ما على تفكير المصورين ، وبأية صورة عبر الأجانب عنها فى فنونهم ، وكيف أنه كان للشرق وللبلاد الاسلامية بنوع خاص أثر كبير فى نشأة هذه الحركة الجديدة فى الفن الحديث .

ولهذا فيجب على القائمين بالأمر فى هذا المتحف أن يرقبوا عن كثب كل اللوحات التى ستقدم للبيع فى أسواق المزاد الفنية فى أوروبا وفى أمريكا ـ ولهذه الأسواق نشرات خاصة وأدلة مصورة تنشر قبل البيع بمدة طويلة ـ ثم ينتقى منها ما قد يكون مقدماً للبيع من لوحات المستشرقين وتخابر وزارة الخارجية فى انتداب أحد موظفى قنصلياتنا فى الخارج للتقدم لشرائها مصحوباً بأحد الأخصائيين فى الفن هناك .

هذا فيما يتعلق بالمستشرقين من فنانى القرن التاسع عشر ولوحاتهم المطروحة للبيع نادرة جداً ، وقد يمر العام دون أن تذكر نشرات البيع شيئاً عن احداها ، ولهذا فسوف لا تثقل المهمة التى قد تكلف بها وزارة الخارجية ، ومن جهة أخرى فستمر أعوام طوال قبل أن تتكون فى المتحف مجموعة قيمة من هذه اللوحات ، وطبيعياً أن الباب الذى سيخصص لها فى ميزانية المتحف سيكون ضئيلاً نسبياً

منتجات المستشرقين المعاصرين

أما فيما يتعلق بالمستشرقين المعاصرين فلوحاتهم عديدة ، ولجماعتهم فى كل عام معرض خاص ، ومنهم من يعرض أيضاً فى معارض باريز العامة . ومن السهل أن ينتقى من معروضاتهم ما هو أقرب اتصالاً بمصر أو ما له قيمة فنية بارزة . وهكذا تتكون المجموعة الثانية للمتحف بتقدم مستمر حتى تصبح يوماً من الأيام مجموعة وحيدة ونادرة بين متاحف العالم ، ويكون لها فى مصر شأن خاص ، لأنها تجمع بين التعبير الفنى الأوروبى وبين الفكرة الشرقية المصرية .

ويجب أن لا تتعدى مخصصات هذا القسم الثانى ببابيه من ميزانية المتحف نصف ما هو مقرر للقسم الأول أو ألفاً واحداً من الجنيهات لأن القسم الثالث سيحتاج إلى مصروفات كبيرة .

القسم الثالث : *تمثيل الفن الاوروبى*

صعوبة الوصول الى هذه بالطريقة المتبعة

أود لهذا القسم الثالث أن يعبر أفضل تعبير عن الفن الأوروبى الحديث. وقد أبنت فيما سبق به القول أن معروضات المتحف الحالية لا تكفى للتعبير عن الفن الأوروبى ، وضربت أمثلة لذلك عن صور ثمينة منها .

والواقع أن الحال أسوأ مما صورته ، إذ أن أكثر أصحاب معروضات المتحف فنانون من الطبقة الثالثة وكثير منهم من الطبقة المجهولة . وعبثاً نحاول أن نتخذ من انتاج هؤلاء نماذج من الفن الأوروبى نقدمها إلى الجمهور المصرى المثقف وغير المثقف . ولعل معترضا على ذلك يقول ان هذه المعروضات انتقيت من خير ما كان معروضا للبيع فى أسواق أوروبا الفنية ، وفى حدود الأموال المخصصة لمشتريات المتحف . وردى على ذلك أنه ليست الغاية من انشاء متحف الفن الحديث أن تكدس فيه صور للفن الأوروبى بل أن يكون هذا الفن ممثلا فيه تمثيلا صادقا . وإذا قيل إن الحالة المالية لم تسمح بأكثر من ذلك فأرد على هذا بأنه مهما صرف بسخاء على مشتريات المتحف بالطريقة التى اتبعت إلى اليوم ومهما ضوعفت مخصصاته فى ميزانيـة الدولة ، فلن تستطيع إدارة الفنون الجميلة أن تكوّن فى هذا المتحف مجموعة صادقة التعبير عن الفن الأوروبى . لأن هذا يتطلب منها أن ترقب بعناية وتدقيق كل حركات البيع فى المعارض والأسواق فى جميع بلاد أوروبا وأمريكا ، ويوجب عليها أن يكون لهـا مندوب أو مندوبون فى كل منها مخصصون للبحث عن أفضـل ما يعرض للبيع من التحف الجديرة بتمثيل الفن الأوروبى .

تحقيقها رهن بالظروف

وان افترضنا أنه من الجائز أن تعرض اليوم للبيع لوحات لفنان مثل كوروه (Corot) ، وأنه يمكن للمتحف أن يقتنى واحـدة منها فتمثل فيه ناحية من نواحى الفن وهى الحساسية (Impressinisme) ، وعصراً من عصوره وهو النصف الثانى للقرن التاسع عشر ، فليس هنالك مايدلنا على أنه ستعرض للبيع قريباً أو بعيداً لوحات تمثل ناحيـة أخرى كالناحية التخيلية (Romantisme) أو عصراً آخر كالنصف الأول للقرن التاسع عشر ، فاذا سد نقص فستبقى نفائص عديدة غير مسدودة ، وسيبقى اكمال مجموعة المتحف رهناً بالظروف

ولـكنى سأذهب فى الافتراض إلى أبعد من هذا وأتصور ان البحث فى أسواق العالم الفنية سيوصل ادارة الفنون ومندوبيها إلى تكوين المجموعة الرفيعة التى أتمناها لمتحف الفن الحديث من آثار رجال الفن الأوروبى .

وان يكن هذا الافتراض خيالياً محضا ـ اذ أنه يندر أن تعرض فى الأسواق منتجات كبار الفنانين فى العصور الماضية ، لأن المتاحف الأوروبية والأمريكية استحوذت على أكثرها عـدداً وأفضلها تمثيلا لفنهم ، ولم يبق فى حوزة كبار الهواة والأغنياء إلا عدد ضئيل منها ـ فلنفترض مع كل هذا ان هذا العدد الضئيل عرض كله للبيع ، وان ادارة الفنون نجحت فى شراء أكثره تحقيقاً للغاية التى وضع لها المتحف ، واذن فيجب أن نقدر ماستتحمله فى نظير ذلك من النفقات . ويكفينى أن الفت النظر الى القسم الخاص بالبيع من أية مجلة من مجلات الفنون الجميلة

فداحة المبالغ التى يتطلبها تنفيذ السياسة الحالية

لم أشأ أن أزيد البحث فى هذا الباب فأخرجت من مجلة Beaux - Arts لسنة ١٩٣١ بيانات أدلى بها فيما يلى : —

كان للـكولونيل أمبروز مونيل Colonel Ambrose Monell مجموعة فنية عرضت للبيع فى نيويورك فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٣٠

وكان من بينها لوحة خشبية للمصور الهولندى رامبراندت Rembrandt وضعت سـنة ١٦٣٥ بيعت بمبلغ ١٫٨٧٥٫٠٠٠ فرنك أى ما يقرب من خمسة وعشرين ألفاً من الجنيهات

وكان من بينها لوحة للمصور الانجليزى رينولدز Reynolds صورت سـنة ١٧٧٣ بيعت بمبلغ ٧٧٥٫٠٠٠ فرنك أى ما يزيد على عشرة آلاف من الجنيهات

ولوحة للمصور الانجليزى وليام تيرنر Turner صورت فى سنة ١٨٣٤ بيعت بمبلغ ٥٧٥٫٠٠٠ فرنك أى ما يزيد على سبعة آلاف من الجنيهات

وبيعت مجموعة أخرى فى باريز لأحد كبار هواة الفنون يوم ١٥ مايو سنة ١٩٣١ كان من بينها لوحة للمصور الفرنسى كوروه Corot بيعت بمبلغ ٢٥٨٫٠٠٠ فرنك أى مازيد على ثلاثة آلاف من الجنيهات

وفى ٢١ مايو سنة ١٩٣١ بيعت مجموعة أخرى فى باريز كان من بينها لوحة للمصور الفرنسى دجاس Degas بلغ ثمنها ١٠٦٠٠٠ فرنك أى ما يزيد على الف وثلثمائة جنيه

ولعل مثلا من أفضل الأمثال التى يصح ذكرها هنا هو هذه المجموعة القيمة التى كان يمكن أن

يفخر متحف من المتاحف الكبيرة بحيازتها والتى وزعت فى ميونيخ فى ١٦ يونيو سنة ١٩٣١

كان من بينها لوحة خشبية للمصور الايطالى فرا انجيليكو Fra Angelico (حوالى سنة ١٤٤٠) بيعت بمبلغ ٦٠٠٫٠٠٠ فرنك أى ما يزيد على سبعة آلاف وخمسمائة جنيه

وكان من بينها لوحة خشبية المصور الايطالى فيليبو ليبى Filippo Lippi (سنة ١٤٦٨) بيعت بمبلغ ٥٨٨٠٠٠ فرنك أى ما يقرب من سبعة آلاف وخمسمائة جنيه

وكان من بينها رسم للمصور الايطالى تيبولو T. - B. Tiepolo (سنة ١٧٦٢) بيعت بمبلغ ٣٤٢٠٠٠ فرنك أى ما يزيد على أربعة آلاف من الجنيهات

وكان من بينها لوحة المصور الفلامندى فرانز هالس Frans Hals (سنة ١٦٤٠) بيعت بمبلغ ٥١٦٠٠٠ فرنك أى ما يقرب من ستة آلاف وخمسمائة جنيه

وكان من بينها لوحة للمصور الاسبانى الجريكو El - Greco (حوالى سنة ١٥٨٠) بيعت بمبلغ ١٫٦٥٠٫٠٠٠ فرنك أى ما يزيد على عشرين ألفاً من الجنيهات

وكان من بينها لوحة للمصور الهولندى رمبراندت Rembrandt (حوالى سنة ١٦٤٠) بيعت بمبلغ ٢٫٠١٠٫٠٠٠ فرنك أى ما يزيد على خمسة وعشرين الفا من الجنيهات

ولوحة أخرى لنفس المصور بيعت بمبلغ ٤٨٠٫٠٠٠ فرنك أى ما يزيد على ستة آلاف من الجنيهات .

هذه سبعة لوحات جديرة بتمثيل عبقرية فنانيها وفن بلادهم فى العصور التى عاشوا فيها يبلغ ثمنها وحدها ستة وسبعين ألفا من الجنيهات ، أى ما يستنفدكل مخصصات المتحف فى ميزانية الدولة لمدة إحدى عشرة سنة ، ولكن كم يحتاج متحف الفن الحديث إلى أضعاف أمثال هذا المبلغ لتكوين مجموعته ؟

فروع القسم الثالث

وجسامة المبالغ التى يجب تخصيصها لمتحف الفن الحديث إذا أريد حقاأن تمثل محتوياته نواحى الفن الأوروبى تمثيلا مقبولا تجعلنى أفكر فى وسيلة أخرى لتحقيق هذهالغاية ، فأتقدم بالقسم الثالث لتنظيم متحف الفن الحديث

وهذا القسم يتكون من ثلاثة فروع :

أولا ـ متحف للتصوير المنقول Copies de Tableaux

ثانياً ـ متحف للنماذج المصبوبة Moulages

ثالثاً ـ مكتبة للصور الفوتوغرافية Photolèque

أولا ـ متحف الصور المنقولة

إذا كان من المستحيل اليوم شراء لوحة من لوحات الفنان النابغة ليوناردو دى فنشى ، إذ أن القليل الذى تبقى منها محتفظ به فى بعض متاحف العالم ، ولو أن لوحة كتلك التى تمثل الجوكوندة طرحت للبيع لأربت قيمتها بكثير على مائتى الف من الجنيهات،فمن السهل بالعكس نظير مائة واحدة من الجنيهات أو أقل من هذا أن تقتنى صورة منقولة متقنة عن هذه اللوحة وبحجمها الأصلى .

الاعتراض على هذه الفكرة

ولا شك أن أية صورة منقولة ، مهما بلغت درجة نقلها من الاتقان ، ستنقصها دائما الروح التى بثها مبتكر اللوحة النموذجية فى تصويره، وستنقصها طبيعة الرسم التى لازمته، وزهاء الألوان التى جمعها فيها ، وستنقصها تلك الحياة الطويلة التى عاشتها ، والجو الخاص الذى أحاط بها ، وسيكون الناقد الفنى والمشاهد قاسيين فى الحكم عليها لأنها تخلو من الشخصية التى تبرز معها اللوحة الأصلية

وسيعترض كثير من رجال الفن على فكرة تغذية متحف الفن الحديث بصور منقولة . وأنا أعترض مع المعترضين على هذه الفكرة لو أنه أريد بمتحف الفن الحديث أن يبقى على الحال التى هو عليها كمعرض دائم لقطع فنية حديثة منعدمة الاتصال . ولكن الغاية السامية التى يرجى أن يحققها هذا المتحف ، وهى تهذيب ذوق الجمهور المصرى وتثقيفه الفنى ، يحملنى على تقديم هذا الاقتراح

الناحية التهذيبية لهذه الفكرة

فى سبيل تحقيق هذه الغاية يقف الناقد الفنى موقف المربى ، فلا يحكم على الصورة المنقولة باعتبار العوامل التاريخية والفنية ، ويتغاضى عما يكون فيها من نقائص ، لأنه ينظر اليها نظرة الداعى الى العلم لا الغيور على الفن

يستعين جميع أساتذة الفنون فى جميع مدارس التعليم وجامعات العالم بالصور الفوتوغرافية على تدريس نواحى الفنون العديدة وتاريخها ، ويقفون أمام هذه الصور بين تلامذتهم موقفهم أمام أصولها ، يذكرون ماقد يكون فى فنها من جمال ، أو فى رسمها من رشاقة ، أو فى فكرتها من نقاوة ، أو فى

وضمها من مهارة ، أو ينتقدون ماقد يكون فى كل هـذا من نقص ، ويفلحون فى إشراك تلامذتهم معهم فى الاعجاب وفى النقد

ولا شك أن الصور المنقولة الملونة أفضل بكثير من الصور الفوتوغرافية الصغيرة ، واذا كانت هذه تعبر عن ناحية واحدة من نواحى الصور الأصلية فتلك تعبر عن نواح عديدة

ويكفينى أن أذكر مثلا على قبول الاستعانة بالصور المنقولة فى التربية والتهذيب الفنى ان المدرسة العليا للفنون الجميلة بباريز وهى من أرقى المدارس الفنية فى العالم وأشهرها ، تحتوى على متحف للصور المنقولة عن لوحات المصورين المشهورين ، وهذا المتحف هو أكبر معين للطلبة فى دراستهم الفنية ، بالرغم مما هم عليه من درجة الثقافة الفنية العالية ، وبالرغم من أن مدرستهم تجاور أغنى متاحف العالم فى فن التصوير وهو متحف اللوفر

اتقان الصور المنقولة

ومع هذا فمن الصور المنقولة ماهو خليق بالاعجاب ، ونقل الصور فن اختص به عدد قليل من المصورين ، ومنهم من يكرس حياته الفنية على التخصص فى نقل صور للوحة واحدة ، ومنهم من يتقن هذا النقل حتى لاتكاد الصورة المنقولة تبتعد فى مظهرها وفنها عن لوحتها النموذجية

فمن الممكن اذن أن تنتقى من متاحف أوروبا مجموعة من خمسمائة لوحة مثلا لأشهر المصورين ومن أصدقها تعبيراً عن أطوار فن التصوير ومواطنه ، وتشترى لها صور منقولة ، أو يكلف بعملها فنانون من الخارج ، أو ينتدب فى بعثات لأداء قسم من هـذه المهمة بعض المتفوقين من المصورين المصريين ، فى ذلك نوع من تشجيعهم ، ويكون البعض من اللوحات المنقولة بحجم اللوحات الأصلية والبعض الآخر بحجم مصغر

وهكذا يتاح للجمهور المصرى وللفنانين المصريين الاطلاع على نماذج من الفن الأوروبى ودراسة نواحيه الهامة واتجاهاته

تكوين مجموعة هذا القسم من المتحف

ولهذا فيجب أن تنتقى مجموعة الصور المنقولة بحيث تكون جميع نواحى الفنون ممثلة بينها بنسب صحيحة ، فلا يراعى فى اختيار الصور فن دون آخر ، ولا تفضل لوحات متحف عن لوحات متحف ثان ، اذ يجب أن تكون الوقائع التاريخية والمزايا الفنية هى وحدها الرائد فى هذا الاختيار

مثل فى منتجات الفن الاسبانى

ليكن الفن الاسبانى مثلا أضرب به لذلك . فلنفترض اننا جمعنا فى غرفة واحدة جميلة التنسيق مجموعة لأشهر المصورين الأسبان فى حياتهم المختلفة ، فانتقينا للجريكو El - Greco الذى عاش فى النصف الثانى للقرن السادس عشر صورته التى تمثل المسيح حاملا الصليب ، الموجودة بمتحف البرادو بمدريد

وانتقينا من نفس المتحف لوحة للمصور ريبيرا Ribera الذى عاش فى النصف الأول للقرن السابع عشر تمثل تعذيب القديس برتليمى

ومن متحف اللوفر صورة أخرى لنفس المصور تمثل الطفل ذا القدم المعوجة

ومن متحف البرادو صورة الراهب المتعبد للفنان زورباران Zurbaran (١٥٩٨ ـ ١٦٦٢)

ومن المتحف البريطانى صورة للفنان نفسه تمثل القديسة مرجريت

وانتقينا صورة الطفل المتسول للفنان موريليو Murillo (١٦١٧ ـ ١٦٨٢) بمتحف اللوفر

وصورة الراعى المقدس للفنان نفسه بهذا المتحف أيضاً

ولوحة ابن الملك بلتازار كارلوس للفنان فلاسكيز Velasquez (١٥٩٩ ـ ١٦٦٠) بمتحف البرادو

وتفصيلا من صورة الأطفال ثم صورة شاربى الخمر للفنان نفسه بهذا المتحف أيضاً

وصورة السيدة المكتسية للفنان الكبير جويا Goya (١٧٤٦ ـ ١٨٢٨) بمتحف البرادو

وصورتى ازابيل بورديل دى كولروس ومجزرة شهر مايو لهذا الفنان أيضاً ، الأولى بالمتحف البريطانى والثانية بمتحف البرادو

وأخيراً صورتين احداهما للفنان زولواجا Zuloaga تمثل ليلة مصارعة الثيران بمتحف بروكسل والثانية للفنان سوررولاى باستيدا Sorollay Bastida تمثل العودة من الصيد بمتحف الجيه ده بوم Jeu de Paume بباريز . وكلا هذين الفنانين عاشا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

أعتقد أن فى هذه الخمس عشرة صورة ما يكفى للتعبير عن ميزات فن التصوير الاسبانى الحديث وعن قيمة مصوريه المشهورين . ومثل هذه اللوحات تكفى لأن تلقى درساً واضحاً فيما كانت عليه الحياة الاجتماعية فى اسبانيا وفيما هى عليه الآن ، وما كان عليه الأشراف والقسس من البذخ والرخاء ، وما كانت عليه طبقات الشعب الأخرى من البؤس والشقاء . وهى تعبر لنا عما كان للنعرة الدينية من

الأثر العميق فى هذه الحياة وفى فن هذه الأمة ، وكيف كان الفن صادقاً فى تصويره للحقيقة حتى فى أشد قسوتها ، وللطبيعة حتى فى أكثر نشاطها ، وهى تدلنا على العبقرية التى أوصلت مثل فلاسكيز إلى أن يكون من أمهر مصورى الانسان ، ومن أقربهم الى الطبيعة ، ومن أرقهم فى تلوين البشرة وفى اظهار رونق الملابس . وليس فى كتب التاريخ صفحة أصدق تعبيراً من لوحات هذا المصور عن الحياة الملكية فى اسبانيا فى عصر فيليب الرابع

ويمر الزائر على آثار الفن الايطالى والفلامندى والهولندى والفرنسى والألمانى والانجليزى والسويسرى، ويخرج منها بمثل ما خرج به بعد زورته غرفة الفن الاسبانى، من دروس فى التاريخ وفى الفن مستعيناً بدليل ايضاحى للمتحف وبما تحمله كل لوحة من بيان لتاريخها ولموضوعها ، ومن شرح يوجهه الى ما فيها من فن وفكرة وجمال

ثانياً ـ متحف النماذج المصبوبة ودواعى الأخذ بهذه الفكرة

أما الفرع الثانى للقسم الثالث من المتحف الذى اقترح انشاءه فقد لا أكون فى حاجة الى اطالة شرح فائدته ، اذ لاتخلو جامعة من جامعات العالم من متحف للقوالب المصبوبة عن آثار فن النحت فى العصور المختلفة

ويكفينا أن نعرف أن أكثر تماثيل الأغريق قد اندثرت ، ولكنا نقدر ماكانت عليه من جمال وابداع عن القوالب التى صبها الرومان من أصول هذه التماثيل ، ويكفينا أن نعرف انه كان للقوالب المصبوبة التى أحضرها فرانسوا الأول الى فرنسا فى أوائل عهد الاحياء أثر كبير فى النهضة الفنية فى فرانسا حينئذ ، ويكفينا أن نعرف أن متحف التروكاديرو للقوالب المصبوبة هو من أكثر متاحف باريز أهمية ومن أشدها أثراً فى التربية الفنية

والقوالب المصبوبة بعناية من التماثيل ومن اللوحات المنحوتة تبلغ من دقة مضاهاتها لأصولها بحيث لايمكن أحياناً التفريق بين هذه وتلك إلا من حيث مادتهما ، بل انه أحياناً أخرى تفضل رؤية القالب المصبوب عن رؤية نموذجه ، اذا كان هذا محتفظا به فى جهة لايدخل اليها النور وافراً كتمثال فى داخل كنيسة مثلا ، أو لايصل اليها النظر بسهولة كلوحة منحوتة فى جزء مرتفع من واجهة بناء أو معبد

سهولة اقتناء مجموعة هذا القسم

فاذا اقتنى لهـذا الفرع من متحف الفن الحديث خمسمائة تمثال ولوحة من أشهر مانحت فى الفن الأوروبى لتكونت من ذلك مجموعة صادقة وبليغة عن فن النحت فى عصوره المختلفة. ولما كان لكل متحف من متاحف العالم الشهيرة معمل خاص لصب القوالب عن المنحوتات القيمة المحتفظ بها فيه فسيسهل اقتناء هذه المجموعة بغير كبير عناء ، مع العلم بأن معمل المتاحف الأهلية فى باريز ـ الموجود بمتحف التروكاديرو ـ يعرض للبيع مجموعة ثمينة من أكثر من خمسة آلاف قالب عن أشهر منحوتات العـالم فى جميع الدول وفى العصور المختلفة ، وفى هـذه المجموعة مايغنى عن البحث عن نظيراتها فى المعامل الأخرى

ثالثا ـ معرض الصور الفوتوغرافية

إذا كان ما أسلفت بيانه من ايجاد متحف للصور المنقولة وآخر للقوالب المصبوبة كافياً لرواج فكرة صائبة عن الفن الأوروبى وتطوراته ، وإذا كان فى مجموع محتوياتهما ما يكفى لتغـذية الجمهور المصرى تغذية فنية ، فإن هنالك باب آخر لزيادة ثقافته من هذه الناحية وهو انشاء معرض من الصور الفوتوغرافية . إذ أن من الآثار الفنية مالا يقبل النقل ولا الصب كالمبانى والرسومات والحفائر والتحف الزخرفية والصناعية كالأوانى والأقمشة والأثاث وغير ذلك . وإنه ليحسن أن تهيأ للجمهور المصرى وسيلة للاطلاع على صور أهم هذه الآثار الفنية وتفاصيلها . ثم انه مهما اتسع المتحف الذى اقترح انشاءه للوحات منقولة ولتماثيل مصبوبة ، فهنالك أضعاف ما يحتويه من آثار كبار رجال الفن المشهورين مما هو جدير بعرضه فى مصر . وهنا يصح أن تنتقى منه لسد هذا النقص مجموعة فى عشرة آلاف صورة فوتوغرافية من الحجم الكبير (٤٠ سم فى ٥٠ سم)

ومن المعلوم أن جميع متاحف العالم تشرف على اخراج صور فوتوغرافية ملونة لأشهر لوحاتها وأخرى عادية لمنحوتاتها وقطعها الفنية وتعرضها للبيع . كما أن مكاتب خاصة فى باريز وبرلين ولنـدره وفى مدن ايطاليا تقوم بمثل هذه المهمة . وإذن فمن السهل أن تنتقى من مجموعات هذه المتاحف والمكاتب ما يمثل منها أكثر التحف شهرة وأتمها تعبيراً عن الفنون الأوروبية لتتكون منها مجموعة متحف الفن الحديث

وترتب هذه المجموعة حسب الفنون والعصور والدول المختلفة ترتيباً يسهل به مراجعتها وتوضع

كل صورة منها فى إطار خشبي حتى لا تتلف ثم تجمع بطريقة خاصة متبعة فى متاحف أوروبا ومكاتبها فلا يمل المطلع عليها تصفحها أو الامعان فيها .

ما يتطلبه القسم الثالث من النفقات

يتم بالفروع الثلاثة التى ذكرتها تكوين القسم الثالث لمتحف الفن الحديث الخاص بتمثيل الفن الأوروبى وتزداد الفائدة المرجوة منه كلما أسرع فى تكوين المجموعات الثلاثة التى ذكرت مجمل محتوياتها . ويستلزم ذلك من الأموال مايقرب من الأربعين ألفا من الجنيهات ، إذا افترضنا أن نفقات نقل الخمسمائة لوحة خمسة وعشرون ألفا من الجنيهات باعتبار أن نفقات نقل الصورة الواحدة ستتراوح بين عشرة جنيهات وخمسمائة جنيه ، وأن متوسط قيمة الواحدة منها خمسون جنيهاً . وإذا افترضنا أن نفقات صب الخمسمائة قالب عشرة آلاف من الجنيهات باعتبار متوسط ثمن الواحد منها عشرين جنيها وستتراوح نفقات صبها بين جنيهين اثنين وأربعمائة جنيه . أماالصور الفوتوغرافية فلن تتعدى قيمة العشرة آلاف صورة منها خمسة آلاف من الجنيهات

توزيع هذه النفقات على خمسة أعوام

ولما كانت مخصصات المتحف لا تزيد هذا العام على سبعة آلاف من الجنيهات ، ولما كنت اقترحت فيما سبق أن يخصص منهـا ثلاثة آلاف من الجنيهات للقسمين الأول والثانى ، فإن كان لا يمكن زيادة هذه المخصصات لا فى هذا العـام ولا فى السنين المقبلة فسيستلزم إتمام تكوين القسم الثالث عشرة أعوام إذا أريد أن يخصص له المبلغ الباق . ولا شك أن مدة هذا الانشاء طويلة يخشى إن أقدمت إدارة الفنون الجميلة على القيام بهـا اليوم أن ينتابها تغيير فى المستقبل فلا يتم تنفيذ مثل هذا المشروع على الوجه الذى بدىء به . ولست أعتقد من العسير أن تزداد هذه المخصصات أربعـة آلاف من الجنيهات سنوياً فيتم تنفيذ مثل هذا المشروع فى خمسة أعوام ، وهى مدة مقبولة خصوصاً وان انجاز نقل اللوحات وصب القوالب غير الجاهزة للبيع سيتطلب عامين أو ثلاثة .

وإذا كان إنشاء هذا القسم من المتحف سيتطلب أموالا اضافية فى السنين الأولى فستنخفض مخصصات هذا القسم بدرجة كبرى بعد إتمام تكوين مجموعاته الثلاث وحينئذ يمكن أن يخصص له فقط خمسمائة أو ألف من الجنيهات لتغذيته أو اصـلاحه حسب ما تتطلبه الظروف أو تسمح به الأحوال .

واذن فيمكن أن يخصص المبلغ الباق أى الثلاثة آلاف جنيه للقسم الرابع

القسم الرابع : منتجات المعاصرين من رجال الفن الاوروبى

سيشمل القسم الرابع محتويات المتحف الحالية من عمل الفنانين الأجانب . إذ يجب أن تكون لمتحف الفن الحديث صبغتان قويتان : الأولى مصرية بحتة والثانية دولية عامة. وقد شرحت فى القسم الثالث رأيى عن ناحية من هذه الصبغة الدولية وهى الناحية التاريخية . وبقيت ناحية ثانية وهى اتجاه الفن المعاصر . وفى هذه الدائرة – دائرة رجال الفن المعاصرين دون الأقدمين من الأجانب فى أوروبا وفى مصر – أرى أن ينحصر شراء التحف الأصيلة على أن يعنى فى انتقائها أن تعبر عن اتجاهات الفن المعاصر المختلفة ، وأن تشمل مختارات مشهورى رجال الفن من جميع البلاد الأوروبية .

وإذا لم يكن يسيراً زيادة مخصصات المتحف فى هذه الأعوام المقبلة فإنه يمكن ايقاف مشتريات هذا القسم حتى يتم تكوين مجموعات القسم الثالث .

وبهذا يمكن التوفيق ، فيما أعتقد ، بين الماضى والحاضر وبين الناحية المصرية والناحية الأوروبية. ويهيأ المتحف إلى تحقيق الغاية التى أنشىء من أجلها وهى تربية الذوق الفنى فى مصر وتمثيل الفن الحديث تمثيلا شاملا كل نواحيه واتجاهاته ، وتتكون له من قسميه الأول والثانى شخصية بارزة بين متاحف العالم .

المدرسة العليا للفنون الجميلة

ذكرت فى تمهيد هذه النبذة كيف أن السلطة الفعلية لإدارة الفنون الجميلة تنحصر فى إدارة الأوبرا ومتحف الفن الحديث والمدرسة العليا للفنون الجميلة . وتقدمت برأيى فيما أراه محققا للغرض الذى من أجله أنشىء متحف الفن الحديث ، وأود هنا أن أطرق باباً من أبواب إصلاح المدرسة العليا للفنون الجميلة . ولست أبغى أن أتناول بالبحث عدم صلاحية بناء هذه المدرسة وأثاثها ونقص معداتها فإن الذى يعنينى هنا أهم من ذلك وأدخل فيما أنا بسبيله وهو حالة طلبتها ودرجة ثقافتهم الفنية .

سوء حال الطلبة ونقص تربيتهم الفنية

من المؤلم حقاً أن معظم طلبة هذه المدرسة لايزالون بعيدين عن التفكير الفنى ولا يمكن – وهم بهذه المثابة – ان تتحقق بهم الآمال التى عقدت عليهم حين ضمت هذه المدرسة إلى إدارة الفنون الجميلة .

وإذا كان كثير منهم قد بلغ فى صناعته درجة من الرقى ، فإن عدداً قليلا منهم على استعداد لتفهم الفن بمعناه الحقيقى السامى .

انعدام الصلة الفنية بين أقسام المدرسة

دلنى اختبارى لهؤلاء الطلبة أنه يندر من بينهم من يقدر للفن معناه ، وقليل منهم من يرغب فى الفن للفن ، فجلهم — ان لم يكن كلهم — يتخذونه صناعة ووسيلة الى وظيفة من الوظائف الحكومية. وأكبر دليل على ذلك أن طلبة كل قسم من أقسام المدرسة يكرهون أن يشتركوا فى العمل مع القسم الآخر ، فطلبة فن العمارة مثلا ينظرون بشىء من الازدراء الى طلبة الأقسام الأخرى ، أو على الأقل ينظرون إليهم نظرة لا تخلو من الاستعلاء والكبرياء . ويجهل طلبة كل قسم من أقسام هذه المدرسة الأربعة أصول فنون الأقسام الأخرى ، فلا طلبة الهندسة المعمارية يقدرون مالفن التصوير من أثر وما لصناعته من أصول ، ولا طلبة قسم النحت يعرفون البسيط من مبادىء فن الحفر . وهذا يدل على انعــدام الصلة بين هذه الأقسام وعلى تأخر ثقافة الطلبة الفنية ، ويدل أيضاً على أن هناك مجالا لاصلاح برامج الدراسة فى هذه المدرسة ، ولكنى لا أطرق مثل هذا الموضوع لحضرات زملائى المدرسين أحق منى بتقديم اقتراحاتهم فى ذلك ، وليس لى أن أتدخل فيما يعنى حضراتهم مباشرة .

سوء تقدير الطلبة لمعانى الفن السامية

ومما هو أدعى الى الأسف أن الطلبة لايدركون مهنتهم الادراك الفنى الكافى ، وأن الفكرة الفنية كما أشرت اليها تكاد تكون منعدمة فيهم . اذ ليس فن التصوير مثلا عبارة عن قواعد فى الرسم وطرق فى اختيار الألوان ومزجها ، بل هو أكثر من هذا ، هو تعبير سام للحياة وللخيال ، هو فكرة يسخر لتحقيقها القلم والريشة والرسم والألوان . ولا شك أن هذه الفكرة لاتسمو الا بالثقافة العالية وبالتفكير الواسع الشامل لأجزاء الحياة ونواحيها

نقص ثقافتهم

ولكن الطلبة لايعنون فى مدرستهم إلا بالصناعة ، ولا يتعهدون ثقافتهم بالتغذية وأفكارهم بالتهذيب . ولست أغالى حين أقرر أن من بين هؤلاء من لايفرق فى التاريخ بين العصور القديمة والعصور الوسطى ، ومما يدعو الى الخجل أن يكون من بين طلبة قسم العمارة من لايميز بين الطراز

الدوريكي والطراز الكورنثي ، وهما من المبادىء الأولية في تاريخ الفنون ، ولست أعتقد أنه يرجى من طلبة هذا شأنهم أن ينهضوا نهضة مباركة بالفنون في مصر

أسباب هذه الحالة السيئة ووسائل علاجها

ولست في حاجة الى الافاضة في شرح هذا الحال ، فقد آمن به كل مطلع على شئون هذه المدرسة ، واذا كان من المتفق عليه أن هذا يرجع أكثره الى النظام الذي كان متبعاً للالتحاق بهذه المدرسة ، وأن هذا النظام قد أصلح من شأنه، وزادت العناية بانتقاء الطلبة الملتحقين بالمدرسة، إلا أني أعتقد أن هناك أسباباً أخرى أدت الى هذه الحال السيئة سآتي هنا بواحد منها وهو عدم تمهد ثقافة الطلبة تمهداً كافياً

مواعيد الدراسة ووجوب افساح مجال العمل للطلبة

أدهشني أولا من نظام المدرسة مواعيدها فهي تفتح مابين الساعة الثامنة صباحاً والثانية بعد الظهر ، واذا كانت هذه المواعيد جائزة لمدرسة تلقى فيها دروس ومحاضرات ، فهي ليست جائزة لمدرسة بها صالات خاصة للعمل الفني (Studios) . اذ أنه لايتيسر لمعظم الطلبة في مصر أن يتخذوا لأنفسهم صالات خاصة لأعمالهم الفنية لما يقتضيه ذلك من نفقات لاقبل لهم بها . واذا عرفنا أنه لايسمح للطلبة بنقل معدات فنهم الى خارج مدرستهم ، بل ان هذا غير جائز ، أدركنا أن أكثر الطلبة - وخاصة طلبة فني التصوير والنحت لايجدون من الوسائل الكافية لاتمام دراستهم الفنية في غير مواعيد المدرسة . ومن السهل ، على ما أعتقد ، اذا أريد أن لايشغل مدرسو المدرسة في غير مواعيدها الحالية ، أن تبقى صالات العمل مفتوحة بعد الظهر ، والى أبعد مدى ممكن من الساعات ، تحت مراقبة ضابط أو معيد . وبهذا يفسح المجال لمن يشاء من الطلبة ، ولمن يعهد من نفسه الرغبة والمقدرة ، أن يزيد تجاربه الفنية ولا يترك من غير عمل أو عدة

وجوب مساعدة الطلبة على الاتصال بمظاهر الفن خارج المدرسة

فتح أبواب المتاحف أمامهم

وأدهشني ثانياً أن لايهيأ لهؤلاء الطلبة في خارج مدرستهم الاشتراك في مظاهر الفن الرسمية

وغير الرسمية والاستفادة منها · وأول مثل على ذلك أنه لايسمح لهم بدخول المتاحف المصرية مجاناً ، ولا يمهد لهم السبيل للرسم والتصوير فى داخلها ، والاقتباس من معروضاتها ، وقد بلغنى ان ادارات المتاحف تعارض فى السماح لطلبة الفنون بالانتفاع بمتاحفها · وهذا نقص كبير كان يمكن تلافيه لو أن لمراقبة الفنون الجميلة سلطة فعلية على هذه الادارات ، ولو أن الناحية المصرية ـ كما شرحت ذلك فى تمهيد هذه النبذة ـ كانت فى مقدمة عنايتها

وأثر هـذا الاهمال ظاهر فى تفكير هؤلاء الطلبة وفى فنهم ، فهم يجهلون كل شىء عن فنون بلادهم ، ولا يتذوقونها ، بل ولا يجيدون رسم نماذج عنها

زيارتهم للآثار

ثم هم لايسمح لهم أيضاً بزيارة آثار القاهرة ومساجدها ، أو لايشجعون على ذلك ، ولا يطلب اليهم نقلها أو نقل أجزائها بالحفر أو بالرسم وبالتصوير · والذى يؤسف له أن ثمانية أعوام مضت منذ افتتاح هذه المدرسة العليا ولم تنظم فيها رحلات علمية الى آثار مصر التاريخية · وطلبة مدرسة الفنون أحق المصريين بزيارة هذه الآثار ودراستها ، اذ يجب أن يكونوا أكبر دعاة لآثارها الفنية وأكثر الناس استفادة منها ، ومن المخجل أن يجهل طلبة مدرسة فنية عالية فى مصر آثار بلادهم الفنية من مبان وتحف

دعوتهم الى المعارض الفنية

وليس الأمر قاصراً على المظاهر الفنية التاريخية ، فانه تقام فى القاهرة معارض فنية لايدعى الى زيارتها لامدرسوا المدرسة ولا طلبتها ، وكان واجباً أن تكون لهذه المدرسة صلة وثيقة بكل مظهر فنى فى مصر ، إذا لم تكن ذات أثر فعال فيه

وهكذا فطلبة الفنون الجميلة بعيدون عن كل مايخرج عن دائرة مدرستهم من المظاهر الفنية ، وهذا نقص كبير أعتقد أنه من السهل تلافيه بمنحهم تذاكر شخصية تسمح لهم بالدخول الى المتاحف والآثار والمساجد والمعارض وتسمح لهم بالرسم والتصوير فيها . ومن السهل أيضاً أن يشمل برنامج دراستهم رحلة فنية دراسية أو أكثر الى آثار مصر القديمة ، وأن تتحمل ميزانية المدرسة جزءاً كبيراً من نفقات هذه الرحلات اذا لم تتحملها جميعاً

تنظيم رحلات وبعثات صيفية الى الخارج

واذا كان فى هـذا بعض العلاج لنقص معارف الطلبة بالنسبة لما فى مصر من مظاهر فنية ، فإنه من الواجب أيضاً أن يمهد السبيل الى المتفوقين منهم فى فنونهم الى الاتصال بالفن الأوروبى ، وذلك بتنظيم رحلات أو بعثات صيفية الى الخارج ، أو منح مكافآت مالية تصرف فى هذا السبيل . وسيكون لهذا أثر طيب فى تقويم صناعة البعض وتهذيب تفكير البعض الآخر

تعهد ثقافة الطلبة داخل المدرسة

ان يكن فى هذا الذى أقترحه تعهد لثقافة الطلبة فى غير مواعيد الدراسة وخارج مدرستهم ، ففى داخل هذه المدرسة نقص كبير شرحت بعض نواحيه ، وأ كرر هنا أن ليس الفن صناعة ـ كما تعود أن يعتقده أ كثر طلبة المدرسة ـ ولكنه فكرة تبعث فى هذه الصناعة روحاً وحياة ، ولن تثمر الفكرة وترقى فى عقل محدود التفكير

مكتبة المدرسة و تنظيم مواعيدها

ولا شك أن الغاية من انشاء مكتبة بالمدرسة كانت لايجاد وسيلة ترقى بهـا معارف الطلبة ، ولكن الأمر غير ذلك . فهذه المكتبة لا تفتح أبوابها إلا بين الساعة الثامنة صباحا والثانية عشر ظهراً ، أى بينما يكون طلبة المدرسة وأساتذتها مشتغلين بدروسهم . وقد تكون مواعيد العمل بهذه المكتبة مقبولة أيضاً لوأنه سمح للطلبة باستعارة الكتب منها ، ولكن الأمر ليس كذلك أيضاً ، ويكاد يكون الطلبة محرومين من مكتبتهم ، وأغرب ما سمعته من أحـدهم ، وقد قضى ثلاثة أعوام بالمدرسة انه كان يعتقد أنه غير مسموح للطلبة بدخول مكتبة المدرسة

ولا شك أن فى اعارة الكتب خارج المكتبة افساداً لها ، وان العناية بها تدعو القائمين بالأمر فى هذه المدرسة إلى عدم السماح بخروج كتب المكتبة منها ، وبمراقبة الطلبة مراقبة دقيقة عند اطلاعهم عليها داخلها . ولهذا أرى واجباً أن تفتح أبواب هذه المكتبة فى مواعيد الدراسة وفى غير مواعيدها وأن يسمح للطلبة بالاستفادة من نفائسها على الوجه الأ كمل .

وإذا كان من المتعذر أن تفتح طول أيام السنة فمن الجائز أن تفتح مثلا أثناء العطلة الدراسية يومين فى الأسبوع . وإذا كان من الارهاق أن يكلف أمين هذه المكتبة بالحضور كل يوم فى الصباح

وفى المساء ، فليس من العسير أن يعين له مساعد يتناوب واياه العمل ، خصوصاً وأن تنظيم هـذه المكتبة سيستدعى عناية كبيرة من ترتيب الكتب وعمل فهارس لها الى غير ذلك مما لا يقوى عليه موظف واحد .

وجوب العناية بمحتوياتها

والأمر ليس قاصراً أيضاً على مواعيد العمل بالمكتبة ، فلمحتوياتها الأثر الأول فى تثقيف عقول الطلبة . وهنا أرانى مضطرا الى الاعتراف بأن هذه المحتويات ضئيلة من جهة ومن جهة أخرى لم تراع فى اختيارها الناحية المصرية إذ بينما لا نجد فيها مثلا كتاب الأستاذ ميجون Migeon عن الفنون الاسلامية نجد فيها تسع نسخ متكررة من كتاب ذى ثلاثة أجزاء عن الفن الفرنسى فى القرن التاسع عشر . ولا نجد فيها الا القليل النادر عن الفن المصرى القديم . ويخجلنى أن أقول أنها لاتحوى كتابا واحداً فى الأدب العربى أو فى الفلسفة أو فى التاريخ ، كأن ليس لهذه الفنون صلة بالجمال . وكأن التاريخ لا يحدثنا أنه ما من فنان كبير إلا وترك فى الأدب أثراً بليغاً، كما ترك فى الفن من لوحات أو تماثيل أو مبان .

انشاء متحف للصور والنماذج

وليست حاجة الطلبة الى الاطلاع فى كتب الأدب والعلوم والثقافة العامه بأقل من حاجتهم الى الاطلاع على نماذج من أعمال كبار الفنانين ، وعلى صور من أهم الآثار . ومكتبة المدرسة خلو من هذا كله . وقد ذكرت فى اقتراحاتى عن متحف الفن الحديث الفائدة التى تعود على الجمهور المصرى من انشاء متحف للصور المنقولة وللقوالب المصبوبة وللصور الفوتوغرافية الملونة . ولا شك أن طلبة المدرسة العليا للفنون الجميلة أحق بالتمتع بمثل هذا المتحف ، وأكثر استعداداً للاستفادة منه . ولهذا فيصح أن ينشأ بجوار مكتبتهم متحف صغير على هذا النمط ، تجمع فيه أهم الصور والنماذج ، ويضم اليه القوالب المصبوبة المكدسة بالغرف الأرضية بالمدرسة . ويصح أيضاً أن يقتصر فى السنين الأولى على اقتناء خمسين لوحة وخمسين تمثالا وألف صورة فوتوغرافية ، وأن تنتقى هذه من غير المعروض فى متحف الفن الحديث . حتى تضم اليه إذا أريد يوماً أن يكون هذا مع المدرسة فى بناء واحد

تعويد الطلبة على البحث

وليس فى اطلاع الطلبة وحدهم على الكتب وعلى نماذج الفن ما يكفى لتثقيفهم الثقافة السليمة إذ من الواجب أيضا أن يمهد لهم السبيل الى هذا الاطلاع وأن ترسم لهم طرق البحث العلمى والفنى كأن يعهد اليهم بعمل مشاريع فنية يحتاج تنفيذها إلى الاطلاع. ولا يقتصر على أن يطلب منهم مثلا رسم نموذج موضوع أمامهم ، أو تنفيذ فكرة قدمت اليهم تفاصيلها ، بل يفسح أمامهم المجال لانعام نظرهم واظهار شخصيتهم والعمل على اتساع مداركهم . والسبيل الى هذا سهل ، كأن يطالب الى طلبة قسم العمارة مثلا تقديم مشروع عن كنيسة من الطراز البيزنطى فهذا يدعوهم الى دراسة فى التاريخ وفى الديانات ، وكأن يطلب الى طلبة قسم التصوير رسم موقعة من المواقع التاريخية فهذا يدعوهم الى دراسة فى الجغرافيا وفى طبيعة الأرض ونباتاتها وفى الآلات والملابس والأنظمة الحربية وغير ذلك ، وكأن يطالب طلبة قسم الزخرفة بعمل نموذج لغلاف كتاب يزمع طبعه عن شعر عمر بن أبى ربيعة مثلا ، فهذا يدعوهم الى دراسة الأدب العربى وما اتصل به من الفنون أو تأثر به من نواحى الحياة الاجتماعية الى غير ذلك مما من شأنه أن يحث الطلبة على كثرة الاطلاع ويمهد لهم السبيل الى تثقيف عقولهم والسمو بأفكارهم

أتيت فيما تقدم على مجمل للحالة السيئة التى تحيط بالفنون الجميلة وبطلبة الفنون الجميلة فى مصر ، وأوضحت فى غير تفصيل ما أراه كفيلا بعلاج بعض أوجه النقص فيها ، ولعلى أكون قد وفقت فى إظهار الحاجة الماسة للعناية بتربيتنا الفنية ولانهاض هذه الناحية الهامة من نواحى نهضتنا الحديثة التى أرجو أن ينال فيها أولو الأمر وادارة الفنون كل نجاح وتوفيق

احمد عسكرى

القاهرة فى ١٧ مايو سنة ١٩٣٥

طُبِعَ بمَطبعَةِ عِيسَى البَابى الحلبى وَشركَاهُ بمِصرَ
بجوار سيدنا الحسين ـ تليفون رقم ٥٠٨٥٦